

الأصول الثلاثة وأدلتها وشروط الصلاة والقواعد الأربعة

تأليف

الإمام العلامة صاحب النهضة الدينية المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

المتوفى سنة ١٢٠٦ رضى الله عنه وأرضاه

بتعليق أحد أفاضل العلماء

نشر وتوزيع

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

بالمملكة العربية السعودية

(وقف لله تعالى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل : (الأولى) العلم ، وهو معرفة الله ، ومعرفة نبيه ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة . (الثانية) العمل به . (الثالثة) الدعوة إليه . (الرابعة) الصبر على الأذى فيه . والدليل قوله تعالى : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . والعصر . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ) . قال الشافعي رحمه الله تعالى : لوما أنزل الله حجة على خلقه إلهذه السورة لكفهم . وقال البخاري رحمه الله تعالى :

« (باب) : العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى : ^(١) (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) ^(٢) فبدأ بالعلم قبل القول والعمل » . اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن :

(١) الذي في صحيح البخاري كما في النسخ التي بأيدينا « باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله ، فبدأ بالعلم » .
(٢) الآية ١٩ من سورة محمد .

(الأولى) أَنْ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا ، بَلْ أَرْسَلَ
إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ .
والدليلُ قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا
أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ
أَخْذًا وَيْلًا)^(١) .

(الثانية) أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ ،
لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . والدليلُ قوله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ
لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)^(٢) .

(الثالثة) أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لَا يَحْزُلُهُ مُوَالَاةُ
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ . والدليلُ قوله تعالى :
(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ،
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٣) .

(١) الآيتان ١٦، ١٥ من سورة الزمل . (٢) الآية ١٨ من سورة الجن .

(٣) الآية ٢٢ من سورة المحادلة . ومعناها - والله أعلم - لا تجد قوماً يؤمنون

اعلم أنْ شَدَكَ اللهُ لِيَطَاعَتِهِ أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وبذلك أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) . وَمَعْنَى يَعْبُدُونَ يُؤَحِّدُونِي . وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ . وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ .
والدليل قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) .^(١)

فإِذَا قِيلَ لَكَ : مَا الْأَصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا ؟
فَقُلْ : مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَدِينَهُ وَنَبِيَّهَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فإِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَقُلْ : رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبَّنِي

حَادَّ اللهُ وَرَسُولُهُ ، أَيْ يَحْمِلُونَ مَوَادَّةَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَ مَنْ حَادَّ وَشَاقَّ اللهُ وَرَسُولُهُ وَعَانَدَ شَرْعَهُ ، وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْأَقْرَبِينَ . قِيلَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ فِي أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ حِينَ قَتَلَ أَبَاهُ يَوْمَ بَدْرَ ، وَكَانَ مِنَ الْمُحَادِّثِينَ الْمَعَانِدِينَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ جَعَلَ الْأَمْرَ شُورَى بَعْدَهُ فِي أُولَئِكَ السَّنَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : وَلَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَأَسْتَخْلَفْتَهُ . وَيَكُونُ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ مِمَّنْ كَتَبَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَالسَّعَادَةَ وَقَرَّرَهَا فِي قَلْبِهِ بِقُوَّةٍ مِنْهُ ، وَزَيْنَ الْإِيمَانِ فِي بَصِيرَتِهِ . فَهَلَا فَعَلَ عُلَمَاؤُنَا ذَلِكَ بِمَنْ اتَّقَابَ مِنْهُمْ عَلَى عَقْبِهِ وَحَادَّ اللهُ وَرَسُولُهُ وَعَانَدَ شَرْعَهُ ، وَرَدَّ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِزَعْمِهِ الْفَاسِدَ ، وَنَشَرَ الْمَقَالَاتِ فِي الْجَرَائِدِ وَالْمَجَلَّاتِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَلَوْ نَقَصَ مِنْ أَحَدِهِمْ رَغِيفٌ مِنْ جَرَائِئِهِ لَقَامَ وَتَجَبَطَ وَأَرْغَى وَأَزِيدَ . فَمَا لَهُمْ عَنِ الْحَقِّ مُعْرِضِينَ ؟

جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ ، وَهُوَ مَعْبُودِي ، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ .
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ
عَالَمٌ ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ .

فَإِذَا قِيلَ لَكَ : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ فَقُلْ : بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ ،
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ
السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)^(١) .
وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يُنْشِئُ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
حَثِيثًا)^(٢) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَبْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)^(٣) . وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ . وَالدَّلِيلُ
قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا)^(٤) وَالسَّمَاءَ

(٢) أَي مَسْرَعًا .

(١) الْآيَةُ ٣٧ مِنْ سُورَةِ فَصَّلَتْ .

(٤) أَي ذَلَالِكُمْ وَلَمْ يَجْعَلْهَا

(٣) الْآيَةُ ٥٤ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

نَائِيَةً لَا يُمْكِنُ الْاسْتِقْرَارُ عَلَيْهَا .

بِنَاءٍ^(١) وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ،
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا^(٢) وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(٣) . قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى : الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ .

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا ، مِثْلُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
وَالْإِحْسَانِ ، وَمِنَهُ الدُّعَاءُ ، وَالْخَوْفُ ، وَالرَّجَاءُ ، وَالتَّوَكُّلُ ، وَالرَّغْبَةُ ،
وَالرَّهْبَةُ ، وَالْخُشُوعُ ، وَالْخَشْيَةُ ، وَالْإِنَابَةُ ، وَالِاسْتِعَانَةُ ، وَالِاسْتِعَاذَةُ ،
وَالِاسْتِغَاثَةُ ، وَالدُّنْبُجُ ، وَالنَّذْرُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا ،
كُلُّهَا لِلَّهِ . وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ
أَحَدًا)^(٤) ، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لغيرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ .
وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ
فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)^(٥) . وَفِي الْحَدِيثِ :
« الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ »^(٦) . وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ :

(١) أَيِ جَعَلَ السَّمَاءَ كَالْقَبَةِ الْمَضْرُوبَةِ ، أَوْ أَنَّهَا كَالسَّقْفِ لِلْأَرْضِ .

(٢) هُوَ جَمْعُ نَدٍ بِكسرِ النونِ ، وَهُوَ الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ . (٣) الْآيَتَانِ ٢١ ،

٢٢ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . (٤) الْآيَةُ ١٨ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ . (٥) الْآيَةُ

١١٧ مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ . (٦) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهْيَةِ : مِخُّ الشَّيْءِ خَالَصُهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ مِخُّهَا لِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا أَنَّهُ امْتِثَالَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ، فَهُوَ مُحَضَّ

أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ^(١) . ودليل الخوف قوله تعالى :
(فَلَا تَخَافُونُمْ) وخافون إن كنتم مؤمنين ^(٢) . ودليل الرجاء
قوله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ^(٣) . ودليل التوكل قوله تعالى :
(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ^(٤) . (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ^(٥) . ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى :
(إِنَّهُمْ كَانُوا ابْشَارًا عُرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا
لَنَا خَاشِعِينَ) ^(٦) . ودليل الخشية قوله تعالى : (فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنِي) الآية ^(٧) . ودليل الإنابة قوله تعالى : (وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ
وَأَسْأَلُوا لَهُ) الآية ^(٨) . ودليل الاستعانة قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

العبادة وخالصها . الثاني أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه
ودعاه لحاحته وحده ، وهذا هو أصل العبادة ، ولأن الغرض من العبادة الثواب
عليها ، وهو المطلوب بالدعاء .

- (١) الآية ٦٠ من سورة غافر . (٢) الآية ١٧٥ من سورة آل عمران .
(٣) الآية ١١٠ من سورة الكهف . (٤) الآية ٢٣ من سورة المائدة .
(٥) الآية ٣ من سورة الطلاق . (٦) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء .
(٧) الآية ١٥٠ من سورة البقرة . (٨) الآية ٥٤ من سورة الزمر .

نَسْتَعِينُ) . وفي الحديث : « إِذَا أَسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »^(١) .
 ودليل الاستعاذة قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ) .
 ودليل الاستغاثَةِ قوله تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ
 لَكُمْ) الآية^(٢) . ودليل الذَّبْحِ قوله تعالى : (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي
 وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ
 وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)^(٣) . ومن السُّنَّةِ : « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ
 لِغَيْرِ اللَّهِ »^(٤) . ودليل النَّذْرِ قوله تعالى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
 يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)^(٥) .

﴿ الأَصْلُ الثَّانِي ﴾

معرفة دِينِ الإسلامِ بالأدلة . وهو الاستِسْلَامُ لِلَّهِ بالتَّوْحِيدِ ،

- (١) هذا قطعة من حديث مطول ، رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .
 والمعنى : إذا أردت طلب المعونة في تحمل المؤونة المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة
 فاستعن بالله إذ لا معين سواه ، ولا فاع باب ولا مانع عطاء إلا إياه ، فلا بد من
 قطع الوسطة في مقام قربه ، كما يشير إليه قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)
 أي ما نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك . (٢) الآية ٩ من سورة الأنفال .
 (٣) الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ من سورة الأنعام . (٤) الحديث رواه مسلم مطولاً .
 واللعن : البعد عن مظان الرحمة ومواطنها . واللعين والملعون : من حقت عليه اللعنة
 (٥) الآية ٧ من سورة الإنسان . مستطيراً : أي منتشرًا عاماً على الناس ،
 نسأل الله حسن الخاتمة .

والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك . وهو ثلاث مراتب :
 « الإسلام » و « الإيمان » و « الإحسان » . وكل مرتبة لها أركان .
 فأركان الإسلام خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ،
 وحج بيت الله الحرام .

فدليل الشهادة قوله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ)^(١) . ومعناها : لا معبود حق إلا الله وحده .
 « لا إله » نافية جميع ما يُعبد من دون الله . « إلا الله » مثبتة
 العبادة لله وحده ، لا شريك له في عبادته ، كما أنه ليس له شريك
 في ملكه . وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي^(٢)) فإنه
 سيهدين . وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون^(٣) .
 وقوله تعالى : (قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

(١) الآية ١٨ من سورة آل عمران . (٢) أي خلقتني وأوجدني من العدم .

(٣) الآيات ٢٦ - ٢٨ من سورة الزخرف .

بعضاً أرباباً من دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ^(١))
 ودليلُ شهادةٍ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ قوله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ ^(٢)) عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران . وهي خطاب للهود والنصارى حسب
 ظاهر النظم القرآني (تعالوا إلى كلمة سواء) عدل ونصف نستوي نحن وأنتم
 فيها ، ثم فرها بقوله تعالى (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً
 ولا صلياً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا غير ذلك ، بل نفرد العبادة لله
 وحده لا شريك له . وهذه هي دعوة جميع الرسل إلى الله تعالى ذكره وتزهد
 صفاته . وقوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) تبكيت لمن
 اعتقد ربوبية المسيح وعزير ، وإشارة إلى أن هؤلاء من جنس البشر وبعضهم
 وإزاراء بمن قلده الرجال في دين الله فحلل ما حللوه وحرم ما حرموه عليه ،
 فإن من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده رباً ، ومنه (اتخذوا أجارهم وربهانهم
 أرباباً من دون الله) ، قال ابن جريج : لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله ، وقال
 عكرمة : لا يسجد بعضنا لبعض ، (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن التوحيد
 (فقولوا) أي أنت يا محمد والمؤمنون لهم : (اشهدوا بأننا مسلمون) أي
 موحدون ، لما ألزمتكم الحجة ، فاعترفوا بأننا مسلمون دونكم .

(٢) الخطاب للعرب عند جمهور المفسرين ، و (من أنفسكم) من جنسكم في
 كونه عربياً قرشياً مثلكم تعرفون نسبه وحسبه . (عزير عليه ما عنت) ما :
 مصدرية ، والعنت : التعب لهم والشقة عليهم ولقاء المكروه ، بعذاب الدنيا
 بالسيف ونحوه . أو بعذاب الآخرة بالنار ، أو بمجموعهما . والمعنى شاق عليه عنكم
 لكونه من جنسكم ومبعوثاً لهدايتكم . (حريص) شحيح عليكم بأن تدخلوا
 النار ، أو حريص على إيمانكم وهدايتكم . (بالمؤمنين رؤوف رحيم) فسماء
 الله تعالى رؤوفاً رحباً ، ولم يجمع لأحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه تعالى إلا
 للنبي صلى الله عليه وسلم .

رَدُّهُ رَحِيمٌ^(١) ومعنى شهادة أن محمداً رسولُ الله طاعته فيما أمرَ ،
وتصديقه فيما أخبرَ ، واجتنابُ ما عنه نهى وزجرَ ، وأن لا يُعبدَ
اللهُ إلا بما شرعَ . ودليلُ الصلاة . والزكاةِ وتفسيرُ التوحيدِ
قوله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
خَفَاءً^(٢) وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ^(٣) .
ودليلُ الصيامِ قوله تعالى : (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ^(٤) عَلَيْكُمْ
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ^(٥) عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(٦)) . ودليلُ
الحجِّ قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ^(٧))

﴿ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ ﴾

الإيمانُ . وهو بضعٌ وسبعونَ شُعبَةً ، فأعلاها قولُ لا إلهَ إلا
اللهُ ، وأدناها إماطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، والحياةُ شُعبَةً من

-
- (١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة . (٢) أي متحين عن الشرك إلى
التوحيد . (٣) الآية ٥ من سورة البينة . « والقيمة » القائمة العادلة ،
أو الأمة المستقيمة المعتدلة : (٤) أي فرض . (٥) أي كما فرض على
الأمم السابقة فهو مشروع قديماً . (٦) الآية ١٨٣ من سورة البقرة .
(٧) الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

الإيمان^(١) . وأركانُه ستة : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى : (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) الآية^(٢) . ودليل القدر قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)^(٣) .

﴿ الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ ﴾

الإحسان . رُكْنٌ وَاحِدٌ . وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(٤) . والدليل قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)^(٥) . وقوله تعالى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَنِيِّزِ الرَّحِيمِ . الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^(٦) . وقوله تعالى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخاري في صحيحه بلفظ « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياة شعبة من الإيمان » . (٢) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . (٣) الآية ٤٩ من سورة القمر . (٤) هذا قطعة من حديث رواه البخاري ومسلم في صحيحهما حينما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الإسلام والإحسان وغير ذلك ، وسيد كره الصنف قريباً . (٥) الآية ١٢٨ من سورة النحل . (٦) الآيات ٢١٧ - ٢٢٠ من سورة الشعراء

وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ (الآية ١).

والدليل من السنة حديث جبريل المشهور عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « يَنْتَمِنا نحن جُلُوسٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ ^(٢) شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ^(٣) وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ^(٤) وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ^(٥) ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ^(٦) وَتُؤْتِيَ

(١) الآية ٦١ من سورة يونس . (٢) أي ظهر لنا شخص بصورة رجل من جنسنا بقنة حين كنا جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) أي لا يرى الرائي إذا نظر إليه أثر السفر عليه ، من نحو غرة وشعث وخير ذلك مما يغير حال الشخص . (٤) وهذه هيئة الأدب وكال التواضع . نسأل الله إلهام طلاب العلم آدابه . (٥) أي تقرر وتعرف بأن لا إله بحق بعد في الوجود إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، يبلغ أحكامه ويبين للأمة ما ينفعها في معاشها ومعادها ، معصوم من الزلل في القول والعمل . (٦) أي تأتي بها في أوقاتها المحدودة مع المحافظة على شرائطها ورعاية أركانها ومندوباتها كما كان يأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعات وفرادى ، وتداوم عليها إلى أن يتقضى أجلك وتلقى ربك .

الزكاة^(١) وتصوم رمضان^(٢) وتَحُجُّ البيتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إليه سَبِيلًا^(٣) ، قال : صَدَقْتَ ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ^(٤) ، قال : أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ ، قال : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ^(٥)

(١) أي تخرج الزكاة وتضعها في مصارفها وتعطيها مستحقها بشروطها للبيئة في كتب السنة الثابتة عن صاحب الشريعة بدون نقص ولا زيادة . (٢) أي تمسك في شهر رمضان عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وكذلك عن القبية والكذب والنجمة وكل منهي عنه شرعاً ، مع الاجتهاد في العادة والإكثار من إحياء الليالي التي جاء الشرع بإحيائها والحث عليها . (٣) أي تقصد بيت الله الحرام في وقت مخصوص ، وعلى هيئة مخصوصة وشرائط معلومة جاءت عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم . (٤) وجه عجب الصحابة من السائل أن يكون الرجل سائلاً يقتضى عدم علمه بالمسؤول عنه ، وتصديقه يوجب خلاف حاله ، ثم زال هذا التعجب الناشئ عن الجهل بسبب الشيء يعلمهم أن السائل جبريل جاءهم في صورة متعلم وطالب ليعلمهم أمر دينهم ، لأنهم كانوا على خلق عظيم ومهابة وحياء وكمال أدب ، فلا يحسر أحد منهم رضى الله عنهم على سؤال الرسول فيما لم يخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم به من نفسه . ومن يطلع على كتب السير يرى ما يخجل من حال طلاب العلم الآن مع علمائهم ومعلميهم ، ويوجب الأسف والحزن ، مع أن هؤلاء هم مثال الأدب والكمال . (٥) أي تصدق بالله تعالى وأنه متصف بكل كمال منزّه عن كل نقص . وقد وصف الله جل ذكره نفسه في كتابه المنزل على نبيه المرسل ، وقد جاءت السنن بصفات الباري تعالى ، فتؤمن بما جاء وصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بدون تأويل ولا تحريف ولا صرف عن ظاهرها .

وملائكته^(١) وكتبه^(٢) ورُسِّلَه^(٣) واليوم الآخر^(٤) وبالقدر^(٥) خيره
وشره^(٦)، قال: أخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: أخبرني عن الساعة^(٧)،
قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل^(٨)، قال: أخبرني عن
أماراتها^(٩)، قال: أن تلد الأمة ربتها^(١٠)، وأن ترى الحفاة
المرأة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان^(١١)، قال: فمضى

(١) جمع «ملك» وهي أجسام نورانية لطيفة مبرأة من الكدورات النفسانية
والشهوات الحيوانية مقتدرة على تشكيلات مختلفة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون . (٢) جمع كتاب، أي ما أنزل الله على أنبيائه بطريق الوحي .
(٣) جمع رسول، وهو إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . والأنبياء
صلوات الله عليهم وسلامه معصومون عن الكبائر والصغار عمداً . (٤) أي
يوم القيامة . (٥) بفتح القاف والدال وسكونها لفتان، هو ما قضاه الله
تبارك وتعالى وحكم به من الأمور أزلاً . (٦) أي حلوه ومره . (٧) أي
عن قيام الساعة، كما صرح به في رواية مسلم، أي وقت وقوع القيامة .
(٨) أي أنا وأنت في العلم بزمنها ووقوعها سواء، لأنها من مفاتيح الغيب التي
لا يعلمها إلا هو . (٩) بفتح الهمزة أي علاماتها الدالة على مجيئها ووقوعها .
(١٠) يعني أن الخادمة التي يتسرى بها تلد سيدتها أو سيدها . وهذا والله
أعلم كناية عن إسناد الأمر إلى غير أهله، وأن حثالات الناس وأسافلها يصبحون
ويقدم مقاليد الحل والربط، والله أعلم . (١١) أي وحتى ترى الحفاة
المرأة الفقراء رعاء الغنم يتغالون في رفع البناء ويتفاخرون في حسنة . والمعنى
أن أهل البادية وأشباههم من أهل الفاقة تبسط عليهم الدنيا، فيتوطنون البلاد،
ويننون القصور الشاهقة المرتفعة، رياهون العباد في ذلك . وهو إشارة أيضاً

فَلَبِثْنَا مَلِيًّا^(١) فقال : يا عمرُ أَتَدْرُونَ مَنْ السَّائِلُ ؟ قلنا : الله ورسوله أعلمُ ، قال : هذا جبريلُ أَنَا كُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ .^(٢)

﴿ الْأَصْلُ الثَّالِثُ مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴾
وهو محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم^(٣) . وهاشمٌ من قُرَيْشٍ ، وقريشٌ من العربِ ، والعربُ من ذريةِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ الخليل ، عليه وعلى نبينا أفضلُ الصلاة والسلام . وله من العمر ثلاثٌ وستون سنةً ، منها أربعون قبلَ النبوةِ ، وثلاثٌ وعشرون نبياً رسولاً . نُبِيٌّ يَأْزُرُ . وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِرِ . وَبَلَدُهُ مَكَّةُ بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ . والدليلُ قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ^(٤) . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ

إلى تغلب الأسافل الأراذل على الكرام وأرباب الكمال فإننا لله وإنا إليه راجعون .
(١) أي وقتاً طويلاً . (٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان . (٣) لم يذكر المؤلف رحمه الله للنبي صلى الله عليه وسلم إلا جدين ، وهما كسرة بن عبد المطلب — بأبي وأمي أفديه — عليه الصلاة والسلام : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . (٤) أي قم يا أيها الذي تدثر بثيابه وتغشى بها من من الرعب الذي حصل له رؤية الملك عند نزول الوحي ، كما في الحديث الوارد في سبب النزول .

فَطَهَّرَ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ^(١))
ومعنى « قُمْ فَأَنْذِرْ » يُنْذِرُ عَنِ الشَّرِكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ،
« وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ » عَظَمَةُ بِالتَّوْحِيدِ ، « وَنِيَابَكَ فَطَهِّرْ » أَيْ طَهِّرْ
أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرِكِ ، « وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ » الرُّجْزُ : الْأَصْنَامُ ، وَهَجَرُهَا
تَرْكُهَا وَأَهْلُهَا وَالْبِرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا . أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ
يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ الْحُسْنَى . وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ ، وَبَعْدَهَا أَمَرَ
بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَالْهَجْرَةُ : الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشَّرِكِ إِلَى بَلَدِ
الْإِسْلَامِ ، وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشَّرِكِ إِلَى بَلَدِ
الْإِسْلَامِ ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ^(٢) . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا :
كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ؟ فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً
وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ

(١) الْآيَاتُ ١-٧ مِنْ سُورَةِ الْمَدَنِيِّ . (٢) انْظُرْ شَرْحَ النَّوَوِيِّ عَلَى الْأَرْبَعِينَ ، فَإِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمَ الْهَجْرَةَ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَنْوَاعٍ ، وَأَطَالَ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ وَأَجَادَ .

عَفْوًا غَفُورًا»^(١) . وقوله تعالى : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرْضِي
وَأَسِعَتْ فِإِيَّائِي فَأَعْبُدُونِ)^(٢) . قال البغوي رحمه الله : سببُ نزولِ
هذه الآية في المسلمين الذين في مَكَّةَ لم يُهاجِرُوا ، ناداهم الله باسم
الإيمان . والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم :
« لَا تَنْقِطُعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقِطَعَ التَّوْبَةُ ، وَلَا تَنْقِطَعَ التَّوْبَةُ حَتَّى
تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »^(٣) . فلما اسْتَقَرَّ في المدينة أَمَرَ بِبَقِيَّةِ
شرائع الإسلام ، مثل الزَّكَاةِ ، والصَّوْمِ ، والحَجِّ ، والأَذَانِ ،
والجِهَادِ ، والأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وغير ذلك من
شرائع الإسلام . أَخَذَ عَلَى هَذَا عِشْرَ سَنِينَ . وَتَوَفَّى ، صَلَاةُ اللَّهِ
وسلامه عليه ، وَدِينُهُ بَاقٍ ، وَهَذَا دِينُهُ : لَا خَيْرَ إِلَّا ذَلِكَ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ ،
وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَرُهَا عَنْهُ . وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ
مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَرَهَا عَنْهُ الشِّرْكُ وَجَمِيعُ
مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ . بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأَقْرَضَ طَاعَتَهُ
عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ ، الْجَنِّ وَالْإِنْسِ . والدليل قوله تعالى : (قُلْ :

(١) الآيات ٩٧ — ٩٩ من سورة النساء . (٢) الآية ٥٦ من سورة
المنكبات . (٣) أسنده النواوي في كتابه كنوز الحقائق إلى ابن عساكر بلفظ :
« لَا تَنْقِطُعُ الْهَجْرَةُ مَا دَامَ الْعَدُوُّ يُقَاتِلُ » وإلى أحمد بن حنبل في مسنده بلفظ :
« لَا تَنْقِطُعُ الْحُجَّةُ مَا قَفَلَتِ الْكُفَارَةُ » أي اشتدت صولتهم وقويت حركتهم .

بِأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (١). وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ .
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (٢). وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ لَأَنكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَحْتَصِمُونَ) (٣). وَالنَّاسُ إِذَا مَا تَوَا يُنْمِثُونَ .
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ
تَارَةً أُخْرَى) (٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاللَّهُ أَتَشْكُرُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ،
ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا) (٥). وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسِبُونَ

- (١) الْآيَةُ ١٥٨ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ . (٢) الْآيَةُ ٣ مِنْ سُورَةِ
الْمَائِدَةِ . وَالْمُرَادُ بِالْيَوْمِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَكَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ ،
هَكَذَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَاللَّغْوُ أَنَّ اللَّهَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ الْمُبَارَكَ الْعَظِيمَ أَكْمَلَ فِيهِ الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ خَاتَمُ
الرُّسُلِينَ ، فَهُوَ غَيْرُ مُتَحْتَاجٍ إِلَى إِكْمَالٍ ، لظهوره عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا وَغُلْبَتِهِ لَهَا ،
وَلِكَمَالِ أَحْكَامِهِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا السَّلْمُونَ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمُسْتَبَقٍ وَفَرَانِسٍ وَسُنَنِ
وَحُدُودٍ وَأَحْكَامٍ . وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا
سَوَاءٌ » ، وَفِيهِ بَيَانٌ جَلِيٌّ بِأَنَّ كُلَّ مَا أَحْدَثَ فِي الدِّينِ فَهُوَ بَدْعٌ وَضَلَالَةٌ ، لَمْ يَأْذَنْ
بِهَا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ ، وَلِلنَّسَبِ لَهَا ضَالٌ مُضِلٌّ ، زَائِدٌ عَلَى مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ . اللَّهُمَّ
اهْدِ خَلْقَكَ لِدِينِكَ الْحَالِصِ ، وَصِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ . (٣) الْآيَتَانِ ٣٠ وَ ٣١
مِنْ سُورَةِ الزَّمَرِ . (٤) الْآيَةُ ٥٥ مِنْ سُورَةِ طه . (٥) الْآيَتَانِ ١٧
و ١٨ مِنْ سُورَةِ نُوحٍ .

وَمَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ . والدليل قوله تعالى : (وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى) (١) . ومن كَذَبَ بِالْبَيْتِ كَفَر . والدليل قوله تعالى :
(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ، قُلْ لِي وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٢) . وأرسل الله جميع الرُّسُلِ
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ . والدليل قوله تعالى : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ لِيَتْلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (٣) . وَأَوَّلُهُمْ
نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَام ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ خَاتَمُ
النَّبِيِّينَ . والدليل على أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قوله تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) (٤) . وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ

(١) الآية ٣١ من سورة النجم . (٢) الآية ٧ من سورة التباين .
(٣) الآية ١٦٥ من سورة النساء . (٤) الآية ١٦٣ من سورة النساء ، وهي
لا تتدل على أَنَّ نُوحاً أول رسول ، بل الذي تدل عليه أَنَّ الله جل ذكره أخبر أنه
أوحى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى نوح ومن بعده من النبيين
أيضاً إلى إبراهيم وإسماعيل ، إلى آخر ما ذكر في الآية . وقد أخبر الله بعد هذه
الآية بأنه قص على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن رسلاً وترك رسالاً لم
يقصصهم عليه . وقد جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه عن أبي ذر قال :
قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، قلت :
يا رسول الله كم الرسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير ، قلت :

إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ نُوْحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ بِأَمْرِهِمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَبِنَهْيِهِمْ
عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ . والدليل قوله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (١) . واقتضى الله
على جميع العباد الكُفْرَ بالطَّاغُوتِ والإِيْمَانَ بِاللَّهِ . قال ابن القيم
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : معنى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حُدُودَهُ مِنْ مَعْبُودٍ
أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مَطَاعٍ ، وَالطَّاغُوتُ أَكْثَرُونَ ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ :
إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ
نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَدَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
وَالدليل قوله تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ،
فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
لَا انْقِصَامَ لَهَا ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (٢) . وهذا هو معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .
وفي الحديث : « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذُرْوَةُ

يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ ؟ قَالَ : آدَمُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ ؟ قَالَ :
نَعَمْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ » الحديث ، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره . « وقد روى هذا
الحافظ أبو حاتم البستي في كتابه الأنواع والتفاسيم وقدوسمه بالصحيح » .
(١) الآية ٣٦ من سورة النحل . (٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . نَمَتِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، فَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِلَفْظِ :
« رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ،
لَا يَنَالُهُ إِلَّا أَفْضَاهُمْ » وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ صَحِيحٌ ، وَقَالَ الْمَنَائِيُّ فِي شَرْحِهِ : وَهُوَ حَسَنٌ .
وَالْمَعْنَى : أَنَّ رَأْسَ هَذَا الْأَمْرِ الْمَسْئُولُ عَنْهُ الْإِسْلَامُ ، وَمَنْ أَسْلَمَ بَانَ نَطْقًا بِالشَّهَادَتَيْنِ
سَلِمَ فِي الدُّنْيَا بِحَقِّ دَمِهِ ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَالتَّمَتُّعِ بِنَعِيمِهَا . وَعَمُودُهُ الَّذِي
يَقُومُ بِهِ الصَّلَاةُ ، فَإِنَّ قِيَامَ شَعَائِرِ الدِّينِ بِهَا ، كَمَا أَنَّ الْعُمُودَ الْمَحْسُوسَ هُوَ الَّذِي يَقِيمُ
الْبَيْتَ ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ ، أَى أَعْلَى مَكَانٍ فِيهِ وَأَحْسَنُهُ ، الْجِهَادُ ، فَهُوَ أَعْلَى الْعِبَادَاتِ
مِنْ حَيْثُ إِنَّ بِهِ ظَهُورَ الدِّينِ وَحِمَايَتَهُ مِنَ الْعَاشِينَ ، وَمَنْ ثُمَّ كَانَ لَا يَنَالُهُ إِلَّا
أَفْضَلُهُمْ دِينًا ، وَأَجْرُهُمْ إِقْدَامًا ، وَأَصْبَرُهُمْ ثَبَاتًا ، وَأَقْوَاهُمْ إِيمَانًا ، وَأَقْرَبَهُمْ تَصَدِيقًا ،
وَأَصَابَهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ أَعْلَى مِنْ
جِهَةٍ أُخْرَى . وَلَكِنْ هَذَا فِي غَيْرِ زَمَانِنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ، الْقَرْنُ الرَّابِعُ عَشَرَ ،
الَّذِي تَرَكَ فِيهِ الْجِهَادَ رَأْسًا بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ وَأَسْبَابِهِ ، وَلِذَلِكَ اسْتَحْذَرْنَا عَلَيْنَا الْعَدُوَّ مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ ، نَسْتَنْصِرُ فَلَا نَنْصُرُ ، وَنَسْتَعِثُ بِاللَّهِ تَعَالَى فَلَا نَعَاثُ ، وَنَسْتَشْفَعُ بِأَعْمَالِنَا
فَلَا نَشْفَعُ ، وَنَدْعُو فَلَا يَسْتَجَابُ لَنَا ، إِلَى مَتَى وَنَحْنُ فِي رُقُودٍ ؟ إِلَى مَتَى وَنَحْنُ فِي
غَفْلَةٍ ؟ إِلَى مَتَى وَنَحْنُ فِي تَأَخُّرٍ عَنِ الدِّينِ وَإِقْبَالٍ عَلَى الدُّنْيَا الدُّنْيَا ؟ إِلَى مَتَى وَنَحْنُ فِي
إِعْرَاضٍ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ دِينُنَا الْجَنيفُ وَالْانْكِبَابُ عَلَى الْعَاصِي وَالْبَدْعُ التَّمِيمَةُ ؟
أَلَمْ يَكْفِ مَا فَعَلَ فِي الْغَرْبِ بِالْبُرْبِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي بَرَقَةِ الْبَطْرِ الْمُسْلِمِينَ أَخِيرًا مَنْهَبًا لَنَا
اللَّهُمَّ شُكْرًا لَكَ لَا كَهْرًا ، اللَّهُمَّ لَا تَوَاضَعْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْجَمَ الرَّاحِمِينَ .

(شروط الصلاة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شروط الصلاة تِسْعَةٌ :

الإسلامُ ، والعقلُ ، والتَّمييزُ ؛ وَرَفْعُ الْحَدَثِ ، وَإِزَالَةُ النِّجَاسَةِ ،
وَسِتْرُ الْعَوْرَةِ ، ودُخُولُ الْوَقْتِ ، وَاسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ ، وَالنِّيَّةُ .

الشرطُ الأولُ : الإسلامُ ، وَضِدُّهُ الْكُفْرُ ، وَالْكَافِرُ عَمَلُهُ
مَرْدُودٌ ، وَلَوْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ . والدليل قوله تعالى : (ما كان للمشركين
أَنْ يَعمُرُوا مساجدَ اللَّهِ شاهِدِينَ على أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ، أولئك
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ)^(١) . وقوله تعالى : (وَقَدِمْنَا
إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فجعلناه هباءً منثوراً)^(٢) .

الثَّانِي : العقلُ ، وَضِدُّهُ الْجُنُونُ ، وَالْجُنُونُ مَرْفُوعٌ عَنْهُ الْقَلَمُ
حَتَّى يُفِيْقَ . والدليل الحديثُ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : النَّائِمِ حَتَّى

(١) الآية ١٧ من سورة التوبة . (٢) الآية ٢٣ من سورة الفرقان .

يَسْتَقِظُ ، وَالْجَنُونَ حَتَّى يُفِيقَ ، وَالصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ » ^(١) .

الثالث : التَّيِّيزُ ، وَضَدَهُ الصَّغَرُ : وَحَدُّهُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ يُؤْمَرُ
بِالصَّلَاةِ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مُرُّوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِمَسْمُوعٍ ،
وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » ^(٢)

الشرط الرابع : رَفْعُ الْحَدَثِ ، وَهُوَ الْوُضُوءُ الْمَعْرُوفُ ،
وَمُوجِبُهُ الْحَدَثُ . وَشُرُوطُهُ عَشْرَةٌ : الْإِسْلَامُ ، وَالْعَقْلُ ، وَالتَّيِّيزُ ،
وَالنِّيَّةُ ، وَاسْتِصْحَابُ حُكْمِهَا ، بَأَنَّ لَا يَنْوِي قَطْعَهَا حَتَّى تَتِمَّ
الطَّهَارَةُ ، وَانْقِطَاعُ مُوجِبٍ ، وَاسْتِجَابَةُ أَوْاسْتِجَابَتِهِ قَبْلَهُ ، وَطَهْوَرِيَّةُ
مَاءٍ ، وَإِبَاحَتُهُ ، وَإِزَالَةُ مَا يَمْنَعُ وَصُولَهُ إِلَى الْبَشَرَةِ ، وَدُخُولُ وَقْتٍ
عَلَى مَنْ حَدَثُهُ دَائِمٌ لِفَرَضِهِ .

(وَأَمَّا فُرُوضُهُ) فَسِتَّةٌ : غَسْلُ الْوَجْهِ ، وَمِنْهُ الْمَضْمُضَةُ
وَالِاسْتِنْشَاقُ ، وَحَدُّهُ طَوْلًا مِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ إِلَى الذَّقَنِ ،

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ ، وَرَوَاهُ
الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ بِلَفْظٍ قَرِيبٍ مِنْ هَذَا (ج ١ ص ٢٥٨) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ
صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجْ ، وَأَقْرَأَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ . وَقَوْلُهُ
« رَفْعٌ » كُنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي جَانِبِ الصَّغِيرِ . (٢) رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِلَفْظٍ
قَرِيبٍ مِنْ هَذَا (ج ١ ص ٢٥٨) وَأَقْرَأَهُ الذَّهَبِيُّ عَلَى تَصْحِيحِهِ ، وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
فِي الْمُسْنَدِ وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ .

وَعَرَضًا إِلَى فُرُوعِ الْأُذُنَيْنِ ، وَغَسَلَ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْقَتَيْنِ ، وَمَسَحَ
جَمِيعَ الرَّأْسِ ، وَمِنْهُ الْأُذُنَانِ ، وَغَسَلَ الرَّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ،
وَالترْتِيبُ ، وَالْمَوَالَاةُ . والدليل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) الْآيَةُ (١) . ودليل
الترتيب الحديث : « ابْدؤوا بما بدأ الله به » (٢) . ودليل الموالاة (٣)
حَدِيثُ صَاحِبِ اللُّمَعَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ لَمَّا رَأَى
رَجُلًا فِي قَدَمِهِ لُمْعَةً قَدَرَ الدَّرْهَمَ لَمْ يُصْبِحْهَا الْمَاءَ فَأَمَرَهُ
بِالْإِعَادَةِ (٤) . وَوَاجِبُهُ التَّسْمِيَةُ مَعَ الذِّكْرِ (٥) .

(١) الْآيَةُ ٦ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ . (٢) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ الْكَبِيرِ بِهَذَا
الْفَلْظِ ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي الْمَحَلِّ ، وَلَهُ طَرَقٌ عِنْدَ الدَّارِقُطِيِّ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ
« أَبْدَأُ » بِلَفْظِ الْحَجْرِ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِلَفْظِ « نَبْدَأُ » بِالنُّونِ .
(٣) أَيْ التَّابِعِ بِدُونِ مَهَلَةٍ . (٤) رَوَاهُ الدَّارِقُطِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ عَنْ
ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ قَالَا : « جَاءَ رَجُلٌ وَقَدْ تَوَضَّأَ وَبَقِيَ عَلَى ظَهَرِ قَدَمَيْهِ مِثْلُ
ظَهْرِ إِبْهَامِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْجِعْ فَأَتَمْ وَضُوءَكَ ، فَفَعَلَ » .
(٥) دَلِيلُ التَّسْمِيَةِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا صَلَاةَ
لِمَنْ لَا وَضُوءَ لَهُ وَلَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ » . أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ
وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ يَصِحُّ الْإِجْتِاجُ بِمِثْلِهِ .
وَهَذَا إِذَا ذُكِرَ ، وَأَمَّا إِذَا نَسِيَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ ؛ جَمْعًا بَيْنَ الْأَحَادِثِ .

(وَنَوَاقِضُهُ ثَمَانِيَةٌ) : الْخَارِجُ مِنَ السَّبِيلَيْنِ، وَالْخَارِجُ الْفَاحِشُ
النَّجِسُ مِنَ الْجَسَدِ ، وَزَوَالُ الْعَقْلِ ، وَمَسُّ الْمِرَّةِ بِشَهْوَةٍ ، وَمَسُّ
الْفَرْجِ بِالْيَدِ قَبْلًا كَانَ أَوْ ذُبْرًا ، وَأَكْلُ لَحْمِ الْجُزُورِ ، وَتَغْسِيلُ
الْمَيِّتِ ، وَالرَّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ .

الشَّرْطُ الْخَامِسُ : إِزَالَةُ النَّجَاسَةِ مِنْ ثَلَاثٍ : مِنَ الْبَدَنِ ،
وَالثَّوْبِ : وَالبُقْعَةِ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (١) .

الشَّرْطُ السَّادِسُ : سِتْرُ الْعَوْرَةِ . أُنْجِعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى فَسَادِ
صَلَاةِ مَنْ صَلَّى غُرْيَانًا وَهُوَ يَقْدِرُ . وَحَدُّ عَوْرَةِ الرَّجُلِ مِنَ
السَّرَّةِ إِلَى الرُّكْبَةِ ، وَالْأَمَةُ كَذَلِكَ ، وَالْحُرَّةُ كُلُّهَا عَوْرَةٌ إِلَّا
وَجْهَهَا (٢) . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ
عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) (٣) أَيْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ .

الشَّرْطُ السَّابِعُ : دُخُولُ الْوَقْتِ وَالِدَّلِيلُ مِنَ السَّنَةِ حَدِيثُ

(١) الْآيَةُ ٤ مِنْ سُورَةِ الْمَدَنِيِّ . (٢) هَذَا مَذْهَبُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ .
قَالَ فِي شَرْحِ دَلِيلِ الطَّالِبِ : « وَالْحُرَّةُ الْبَالِغَةُ كُلُّهَا عَوْرَةٌ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى ظَفَرُهَا
وَشَعْرُهَا إِلَّا وَجْهَهَا ، وَالْوَجْهَ وَالْكَفَّائِ مِنْ الْحُرَّةِ الْبَالِغَةِ عَوْرَةٌ خَارِجُ الصَّلَاةِ
بِاعْتِبَارِ النَّظَرِ كَبْقِيَةِ بَدْنِهَا » وَأَمَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَالْحُرَّةُ كُلُّهَا عَوْرَةٌ إِلَّا
وَجْهَهَا وَكَفَّيَهَا فِي الصَّلَاةِ . (٣) الْآيَةُ ٣١ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ . وَالتَّرْتِيبُ :

جبريل عليه السلام : أنه أم النبي صلى الله عليه وسلم في أول الوقت
وفي آخره فقال : « يا محمد الصلّة بين هذين الوقتين »^(١). وقوله
تعالى : (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)^(٢) . أى
مفروضاً في الأوقات . ودليل الأوقات قوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلَاةَ
لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُودًا)^(٣)

الشرط الثامن : استقبال القبلة . والدليل قوله تعالى : (قَدْ نَرَى
تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ)^(٤) .

الشرط التاسع : النية ، ومحلها القلب ، والتلفظُ بها بدعة .

(١) الحديث رواه مطولا الإمام أحمد بن حنبل والنسائي والترمذي وابن
حبان والحاكم . وروى الترمذي في سننه عن البخارى أنه أصح شيء في الباب .
(٢) الآية ١٠٣ من سورة النساء . (٣) الآية ٧٨ من سورة الإسراء .
دلوك الشمس : زوالها عن دائرة نصف النهار ، وقيل : غروبها . وغسق الليل :
شدة ظلمته ، وهو وقت العشاء . وقرآن الفجر : صلاته . (إن قرآن الفجر كان
مشهوداً) : أى تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار . (٤) الآية ١٤٤ من

والدليل الحديث : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى »^(١) .

وَأَرْكَانُ الصَّلَاةِ أَرْبَعَةٌ عَشْرٌ : الْقِيَامُ مَعَ الْقُدْرَةِ ، وَتَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ ، وَقِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ ، وَالرَّكُوعُ ، وَالرَّفْعُ مِنْهُ ، وَالسُّجُودُ عَلَى الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ ، وَالِاعْتِدَالُ مِنْهُ ، وَالْجُلُوسُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ . وَالطَّمَأْنِينَةُ فِي جَمِيعِ الْأَرْكَانِ ، وَالتَّرْتِيبُ ، وَالتَّشَهُدُ الْآخِرُ ، وَالْجُلُوسُ لَهُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّسْلِيمَتَانِ .

الرَّكَانُ الْأَوَّلُ : الْقِيَامُ مَعَ الْقُدْرَةِ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)^(٢) .
الثَّانِي : تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ . وَالدَّلِيلُ الْحَدِيثُ : « تَحْرِيْمُهُا التَّكْبِيرُ ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ »^(٣) . وَبَعْدَهَا الْاسْتِفْتَاحُ ، وَهُوَ سُنَّةٌ .
وَقَوْلُ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » وَمَعْنَى « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ » : أَيْ أَنْزَهُكَ التَّنْزِيهِ الْلَائِقَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي اللَّفْظِ ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي آخِرِ كِتَابِ الْجِهَادِ ، وَأَصْحَابُ السُّنَنِ وَغَيْرُهُمْ . (٢) الْآيَةُ ٢٣٨ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . (٣) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ الْبَرَزِ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ . وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ السَّكَنِ بِلَفْظٍ : « مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهْوَرُ ، ثُمَّ عَدَا التَّكْبِيرُ ، ثُمَّ تَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ » .

بجلالك . « وبحمدك » أى ثناء عليك . « وتبارك اسمك » أى البركة
تُنالُ بِذِكْرِكَ . « وتعالى جدك » : أى جَلَّتْ عَظَمَتُكَ . « ولا إله
غيرك » : أى لا معبودَ فى الأرضِ ولا فى السماءِ بِحَقِّ سِوَاكَ يَا اللَّهُ .
« أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . معنى : « أَعُوذُ » الْوَدُّ وَالْتَجَى
وَأَعْتَصِمُ بِكَ يَا اللَّهُ . « مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » الْمَطْرُودِ الْمُبْعَدِ عَنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ ، لَا يَصُرُّنِي فِي دِينِي وَلَا فِي دُنْيَايَ . وقراءةُ الْفَاتِحَةِ رُكْنٌ
فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ، كما فى الحديث : « لاصلاةَ لِمَنْ لَمْ يقرأْ بِفاتحةِ
الكتابِ » ^(١) . وهى أُمُّ الْقُرْآنِ ^(٢) (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) بَرَكَةٌ
وَاسْتِعَانَةٌ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) « الحمد » ثناء ، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ لاسْتِفْرَاقِ جَمِيعِ
الْحَامِدِ ، وَأَمَّا الْجَمِيلُ الَّذِي لَا صُنْعَ لَهُ فِيهِ ، مِثْلُ الْجَمَالِ وَنَحْوِهِ ، فَالْتِئَانُ
بِهِ يُسَمَّى مَدْحًا لَا حِدًّا . (رَبُّ الْعَالَمِينَ) « الرَّبُّ » هُوَ الْمَعْبُودُ
الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ مُرَبِّي جَمِيعِ الْخَلْقِ بِالنِّعَمِ .
« الْعَالَمِينَ » كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ ، وَهُوَ رَبُّ الْجَمِيعِ . (الرَّحْمَنُ)
رَحْمَةٌ عَامَّةٌ جَمِيعَ الْخُلُوقَاتِ . (الرَّحِيمُ) رَحْمَةٌ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ .

(١) رواه البخاري وغيره . (٢) لأنها أصل القرآن ، والأُمُّ : الأصل . وإنما
صارت أصل القرآن لأن الله تعالى أودعها مجموع ما فى السور ، لأن فيها إثبات
الربوبية والعبودية ، وهذا هو المقصود بالقرآن .

والدليل قوله تعالى : (وكان بالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) ^(١) . (مَالِكِ يَوْمِ
الَّذِينَ) يوم الجزاء والحساب ، يَوْمَ كُلِّ يُحَازَى بِعَمَلِهِ ، إن خيراً
غيره وإن شراً فشره . والدليل قوله تعالى : (وما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الَّذِينَ . نَمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) ^(٢) . والحديث عنه صلى الله عليه وسلم :
« الكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ
أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » ^(٣) . (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) أى
لا نعبدُ غَيْرَكَ ، عَهْدٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ أَنْ لَا يَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ .
(وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) عَهْدٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ أَنْ لَا يَسْتَعِينُ بِأَحَدٍ
غَيْرِ اللَّهِ . (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) معنى « اهْدِنَا » دُلَّنَا

(١) الآية ٤٣ من سورة الأحزاب . (٢) الآيات ١٧ — ١٩ من سورة
الانفطار . (٣) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم عن شداد بن أوس ،
وصححه الحاكم ولم يوافقه الذهبي . والمعنى ، والله أعلم ، أن العاقل المتبصر في الأمور
الناظر في العواقب من حاسب نفسه وأدبها واستجدها وقهرها حتى تصير مطيعة
منقادة لا تخالفه البتة ، وعمل لما بعد الموت قبل نزوله بغتة ليكون على نور من
ربه فيستد له . والعاجز المقصر في الأمور من أتبع نفسه هواها فلم يكفها عن
الأهواء والشهوات ، ولم يمنعها عن مقارفة المحرمات ، ومع ذلك كله يتمنى على
الله الأمانى ، فهو مع تفریطه في طاعة ربه واتباع شهواته لا يعتذر بل يتمنى على
الله أن يعفو عنه ويعد نفسه بكرم المولى ورحمته ، ولا شك أن هذا غاية الجهل
والحق ، أورده الشيطان في قلب الدين نعوذ بالله منه .

وَأَرْشِدْنَا وَتَبْنِنَا، وَ« الصِّرَاطُ » الإسلامُ ، وقيل الرسولُ ، وقيل القرآنُ ، والكُلُّ حقٌّ . وَ« الْمُسْتَقِيمُ » الذي لا عِوَجَ فِيهِ . (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) طَرِيقَ الْمَنْعَمِ عَلَيْهِمْ . والدليل قوله تعالى : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) ^(١) ، (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وهم اليهودُ ، معهم عِلْمٌ ولم يَعْمَلُوا بِهِ ، تَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجَنِّبَكَ طَرِيقَهُمْ . (وَلَا الضَّالِّينَ) وهم النصارى ، يعبدون الله على جهلٍ وضلالٍ ، تَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجَنِّبَكَ طَرِيقَهُمْ . ودليلُ الضالِّينَ قوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا) ^(٢) . والحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ ^(٣) مَنْ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ^(٤) حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ ^(٥) لَدَخَلْتُمُوهُ ،

(١) الآية ٦٩ من سورة النساء . (٢) الآيتان ١٠٣ و ١٠٤ من سورة الكهف . (٣) هو بفتح السين المهملة الطريق . (٤) هي بضم القاف ريش السهم ، وهو كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لافي الكفر ، وهذا خبر معناه النهي عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغيره . (٥) هو بضم الجيم وسكون الحاء المهملة ، بيته ، والضب حيوان بري . والمعنى أن هذه الأمة تتشبه بأهل الكتاب في كل ما يفعلون من الشر حتى لو فعلوا هذا الذي غشى منه الضرر للبشر

قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فَمَنْ ^(١) . أَخْرَجَاهُ .
والحديث الثاني : « أَفْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَأَفْتَرَقَتِ
النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَسْتَفْتِرُقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ
وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قُلْنَا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قال : مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي ^(٢) . وَالرَّكُوعُ ،
وَالرَّفْعُ مِنْهُ ، وَالسَّجُودُ عَلَى الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ ، وَالْإِعْتِدَالُ مِنْهُ ،
وَالْجُلُوسَةُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) ^(٣) . والحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « أَمِرْتُ

لَانْعُوهُمْ فِيهِ . وَقِيلَ : أَضَلَّ ذَلِكَ أَنَّ الْحَيَةَ تَدْخُلُ عَلَى الضَّبِّ جَحْرَهُ فَتُخْرِجُهُ مِنْهُ
وَتُسَكِّنُهُ ، وَمَنْ ثُمَّ قَالُوا : أَظْلَمَ مِنْ حَيَةٍ . فَمَعْنَى الْحَدِيثِ — وَاقَهُ أَعْلَمُ — حَقٌّ لَوْ فَعَلُوا
مِنَ الظُّلْمِ مَا تَفَعَّلَهُ الْحَيَةُ بِالضَّبِّ مِنْ إِزْعَاجِ أَحَدٍ مِنْ مَحَلِّهِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْهُ وَالسَّكْنَ فِيهِ
ظُلْمًا لِمَعْلُومِهِ . (١) اسْتِفْهَامُ انْكَارِي ، أَيُّ لَيْسَ الْمُرَادُ غَيْرِهِمْ . وَأَخْرَجَ
الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْمُسْتَوْدِدِ بْنِ شَدَادٍ رَفَعَهُ : « لَا تَتْرِكُ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئًا مِنْ
سُنَنِ الْأَوَّلِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُ » .

(٢) رَوَاهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَاعْلَمْ أَنَّ
هَذَا الْاِقْتِرَاقَ الْمَعْنَى بِالْحَدِيثِ الذَّمُّومِ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ هُوَ مَا كَانَ فِي
أَصُولِ الدِّينِ وَالتَّوْحِيدِ ، لِأَنَّ مَا كَانَ فِي فُرُوعِ الْفَقْهِ ، لِأَنَّ الْأَوَّلَ كَفَرُوا أَهْلَهُ بَعْضُهُمْ
بِضَاءً ، غِلَافُ الثَّانِي . وَفِي قَوْلِهِ : « عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » إِبْطَالُ مَا يَحْدُثُ
الدِّينَ مِنَ الْبَدْعِ ، فَإِنَّهَا شَرُّ كُلِّهَا ، بَلْ هَلَاكَ الدِّينَ بِهَا . (٣) آيَةُ ٧٧

أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمٍ» (١). وَالطُّمَأْنِينَةُ فِي جَمِيعِ الْأَفْئَالِ،
والتَّزْيِيبُ بَيْنَ الْأَرْكَانِ. وَالِدَلِيلُ حَدِيثُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
قَالَ: «يَنْمُو نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ
فَصَلَّى فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ
لَمْ تُصَلِّ، فَعَلَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا أَحْسَنُ
غَيْرَ هَذَا فَمِلَمَنِي، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى
الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ أَقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ أَرْكَعْ
حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ أَرْفَعْ حَتَّى تَعْتَدَلَ قَائِمًا، ثُمَّ أَسْجُدْ حَتَّى
تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ أَرْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ أَقْعِلْ ذَلِكَ فِي
صَلَاتِكَ كُلِّهَا» (٢). وَالتَّشَهُدُ الْأَخِيرُ رُكْنٌ مَفْرُوضٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ
عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ
عَلَيْنَا التَّشَهُدُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى جَبْرِئِلَ
وَمِيكَائِيلَ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ
مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ
وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا مَطْوُولًا، وَاقْتَصَرَ لِلصَّنْفِ عَلَى عَمَلِ الشَّاهِدِ مِنْهُ.

السلام علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحينَ ، أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ
وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولهُ^(١) . ومعنى « التحيات » جميعُ
التعظيماتِ لله مُلكاً واستحقاقاً، مثلُ الانحناءِ وِرْءُ كوعِ والسجودِ
والبقاء والدوام ، وجميعُ ما يعظمُ بهُ ربُّ العالمين فهو اللهُ ، فمن صَرَفَ
منه شيئاً لغيرِ اللهِ فهوَ مشركٌ كافرٌ^(٢) . و « الصَّلَوَات » معناها جميعُ
الدعواتِ ، وقيل الصلواتُ الخمسُ . و « الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ » اللهُ طَيِّبٌ
ولا يقبلُ من الأقوالِ والأعمالِ إلا طَيِّبها . « السلامُ عليك أيُّها
النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاته » تدعو للنبي صلى اللهُ عليه وسلم بالسلامة والرحمة
والبركة ، واللَّذِي يُدْعَى له ما يُدْعَى مع اللهُ . و « السلامُ علينا وعلى
عبادِ اللهِ الصالحينَ » تُسَلِّمُ على نفسك وعلى كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماءِ
والأرضِ . و « السلامُ » دُعَاؤه ، و « الصالحونَ » يُدْعَى لهم ولا
يُدْعَوْنَ مع اللهِ . « أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له »
تَشْهَدُ شهادةَ اليقينِ أن لا يُعْبَدَ في الأرضِ ولا في السماءِ بِحقِّ إلاَّ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ . (٢) لَا شَكَّ
أَنَّ كُلَّ مَا يَعُظَّمُ بِهِ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي السَّجُودِ وَالرُّكُوعِ وَالِدُّعَاءِ فِي الشَّدَائِدِ
وَالِاتِّجَاءِ عِنْدَ تَزُولِ الْكَرْبِ ، إِذَا فَعَلَ لِنَفْسِهِ ، جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَعَالَتْ صِفَاتُهُ ، فَهُوَ

كَفَرٌ بِتَعَالَى تَعَالَى ذَلِكَ الشَّيْءُ لِهَيْبَتِهِ فَمَا اخْتَصَرَهُ

الله، وشهادة أن محمداً رسول الله بأنه جدد لا يُعبد، ورسول لا يُكذب، بل يُطاع ويُتبع، شرفه الله بالعبودية. والدليل قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)^(١). « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ » الصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، كما حكى البخاري في صحيحه عن أبي العالى قال : صلاة الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، وقيل : الرحمة . والصواب الأول، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين الدعاء . و « بارك » وما بعدها سنن أقوال وأفعال .

والواجبات ثمانية : جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام . وقول « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فِي الرَّكْعَةِ » ، و « قول سمع الله لمن نذره » للإمام والمنفرد ، وقول « رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ » للكل ، وقول « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » في السجود ، وقول « رَبِّ اغْفِرْ لِي » بين السجدين ، والتشهد الأول والجلوس له .

فَلَا زَكَاةَ مَا سَقَطَ مِنْهَا سَهْوًا أَوْ عَمْدًا بَطَلَتِ الصَّلَاةُ بِتَرْكِهِ
وَالْوَاجِبَاتُ مَا سَقَطَ مِنْهَا عَمْدًا بَطَلَتِ الصَّلَاةُ بِتَرْكِهِ ، وَسَهْوًا جَزَاءُ
السُّجُودِ لِلسَّهْوِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

القواعد الأربعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا أُبْتُلِيَ صَبَرَ ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ .

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِعَاطَتِهِ أَنْ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) . فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكَ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَمَّامَ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ ،

(١) الْآيَةُ ٥٦ مِنْ سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ . وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ : « أَيُّ إِنَّمَا

وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) . وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه :

القاعدة الأولى : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْمَدَبُّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ. والدليل قوله تعالى : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، فَسَيَقُولُونَ: اللَّهُ، فَقُلْ : أَفَلَا تَتَّقُونَ)

القاعدة الثانية : أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لَطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ . فدليلُ القربةِ قوله تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) ودليلُ الشفاعةِ قوله تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَقُولُونَ : هُوَ لَاءِ شُفَعَاؤُنَا

(١) الآية ١١٦ من سورة النساء . (٢) الآية ٣١ من سورة يونس .

(٣) الآية ٣ من سورة الزمر .

عِنْدَ اللَّهِ . وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ : شَفَاعَةُ مُنْفِيَّةٌ ، وَشَفَاعَةُ مُثَبِّتَةٌ .
فَالشَّفَاعَةُ الْمُنْفِيَّةُ مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِيهَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ
إِلَّا اللَّهُ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ . وَالْكَافِرُونَ هُمْ
الظَّالِمُونَ) . وَالشَّفَاعَةُ الْمُثَبِّتَةُ هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ ، وَالشَّافِعُ
مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بِمَدِّ
الْإِذْنِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)
وَالْقَاعِدَةُ الثَّلَاثَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ عَلَى أَنَاسٍ

(١) الْآيَةُ ١٨ مِنْ سُورَةِ يُونُسَ . (٢) الْآيَةُ ٢٥٤ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . وَقَالَ
الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : « يَا مَرْءُ اللَّهِ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْإِنْفَاقِ عَمَّا رَزَقَهُمْ
فِي سَبِيلِهِ سَبِيلَ الْخَيْرِ ، لِيَدْخُرُوا ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَلِكِهِمْ ، وَلِيُادِرُوا إِلَى ذَلِكَ
فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ — يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ — لَا يَبِيعُ فِيهِ
وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ، أَيْ لَا يَبِيعُ أَحَدٌ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَفَادِي بَعَالَ لَوْ بَذَلَهُ ، وَلَوْ
جَاءَ عَلَيْهِ الْأَرْضُ ذَهَبًا ، وَلَا تَنْفَعُهُ خُلَّةٌ أَحَدٌ — يَعْنِي صِدَاقَتُهُ — بَلْ وَلَا نَسَابَتُهُ ،
كَأَنَّ تَعَالَى : (فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) ، وَلَا
شَفَاعَةَ أَى وَلَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)
مَبْتَدَأٌ مَحْصُورٌ فِي خَبَرِهِ ، أَى وَلَا ظَالِمٌ أَظْلَمَ مِنْ وَافِي اللَّهِ يَوْمَئِذٍ كَافِرًا ، وَقَدْ رَوَى
ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ : وَالْكَافِرُونَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ، وَلَمْ يَقُلْ وَالظَّالِمُونَ هُمُ الْكَافِرُونَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . »

(٣) الْآيَةُ ٢٥٥ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . أَيْ لَا يَتَجَاسَرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَشْفَعَ لِأَحَدٍ

مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ : مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ
الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ . وَمِنْهُمْ
مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ . وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ
يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ . وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) ودليل الشمس والقمر قوله تعالى
(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)
ودليل الملائكة قوله تعالى : (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا) الْآيَةُ ودليل الأنبياء قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ

عند الله تعالى إلا ياذنه له في الشفاعة ، لعظمته تعالى وجلاله وكبريائه ، كما في حديث
الشفاعة « آتني تحت العرش فأختر ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال :
ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ، قال : فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة » .
والله أعلم .

(١) الآية ٩ من سورة الأنفال . (٢) الآية ٣٧ من سورة فصلت .
(٣) الآية ٨٠ من سورة آل عمران . وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره :
« أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله ، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ، أي أمركم
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون : أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ،
ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان
وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من

يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ : سُبْحَانَكَ ، مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) . ودليل الصالحين قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) الْآيَةَ . ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى : (أَقْرَأْتُمْ اللَّاتَ وَالْمُزَى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى وَحَدِيثُ رَسُولِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) . وقوله أَرَبَابًا أَيَّ إِلَهَةٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ « والله أعلم .

(١) الْآيَةُ ١١٦ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ . يُخَاطَبُ اللَّهُ بِهَذَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقِيلَ فِي الدُّنْيَا حِينَ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِحُضْرَةٍ مِنْ اتَّخَذَهُ وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ . وَهُوَ تَهْدِيدٌ لِلنَّصَارَى وَتَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ عَلَى رِوَايَةِ الشَّهَادَةِ ، وَجَوَابٌ عَنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ (سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) غَايَةً فِي الْأَدَبِ وَكَيْالِ الْجَوَابِ . فَسَأَلَ اللَّهُ التَّأْدِبَ بِآدَابِهِ وَالتَّخَلُّقَ بِأَخْلَاقِهِ . (٢) الْآيَةُ ٥٧ مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (أُولَئِكَ الَّذِينَ) الْآيَةَ ، قَالَ : نَاسٌ مِنَ الْجِنِّ كَانُوا يَعْبُدُونَ فَأَسْلَبُوا . وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ ، وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِإِسْلَامِهِمْ ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . (٣) الْآيَتَانِ ١٩ ، ٢٠ مِنْ سُورَةِ النَّجْمِ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مَقَرًّا لِلْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمُ الْأَصْنَامَ

أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ

وَالْأَوْثَانُ وَالْأَنْدَادُ وَاتَّخَذَهُمْ لَهَا الْبُيُوتُ مِثْلَ الْكُفَّةِ الَّتِي بَنَاهَا خَلِيلُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَكَانَتِ اللَّاتُ صَخْرَةً بَيْضَاءَ مَنَقُوشَةً ، وَعَلَيْهَا بَيْتٌ بِالطَّائِفِ لَهُ أَسْتَارٌ وَخِدْمَةٌ ، وَحَوْلَهُ فَنَاءٌ مَعْظَمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الطَّائِفِ ، وَهُمْ ثَقِيفٌ وَمِنْ تَابِعِيهَا ، يَفْتَخِرُونَ بِهَا عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ بَعْدَ قُرَيْشٍ . وَالْعَزَى كَانَتْ نَجْرَةً عَلَيْهَا بَنَاءٌ وَأَسْتَارٌ بِنَخْلَةٍ ، وَهِيَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، كَانَتْ قُرَيْشٌ يَعْظُمُونَهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو سَيْفَانَ يَوْمَ وَقْعَةِ أَحَدٍ : لَنَا الْعَزَى وَلَا عَزَى لَكُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : قُولُوا : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ ، وَمَنَاةُ كَانَتْ بِالْمِثْلَلِ عِنْدَ قَدِيدِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ خِزَاعَةَ وَالْأَوْسَ وَالْحِزْرَجَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يَعْظُمُونَهَا وَيَهْلُونَ مِنْهَا لِلْحَجِّ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَسًا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِهَدْمِهَا ، فَأَرْسَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفَ اللَّهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْعَزَى فَهَدَمَهَا ، وَجَعَلَ يَقُولُ :

يَا عَزَى كُفْرَانُكَ لَا سَبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

وَأَرْسَلَ الْغَيْرَةَ بْنَ شَعْبَةَ وَأَبَاسْفِيَانَ صَخْرَ بْنَ حَرْبٍ إِلَى اللَّاتِ فَهَدَمَاهَا ، وَجَعَلَ مَكَانَهَا مَسْجِدًا بِالطَّائِفِ . وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنَاةَ أَبَاسْفِيَانَ صَخْرَ بْنَ حَرْبٍ فَهَدَمَهَا ، وَيُقَالُ هَدَمَهَا عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِالْدِّينِ الْحَقِّ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَإِفْرَادِ الْمَعْبُودِ بِحَقِّهِ ، وَإِبْطَالِ الْعُلَدَاتِ الْقَبِيحَةِ وَكُلِّ مَا يَشُوهُ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ ، وَجَرَى عَلَى ذَلِكَ أَصْحَابُهُ الْعِزَامُ وَتَابِعُوهُ الْكِرَامُ مِنْ بَعْدِهِ ، إِلَى أَنْ اخْتَلَطَ الْحَائِلُ بِالنَّابِلِ ، وَاسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ وَغَوَاةُ الْبَاطِلِ عَلَى عَقُولِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَجَدَدُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، لَا سِيَّامًا فِي عَصْرِنا الْحَاضِرِ ، عَصِرِ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ وَالصُّورِ الْمَزْخُوفَةِ ، فَلَقَدْ طَمَّ الْبَلَاءُ

يَمْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يَقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ ،
فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ
ذَاتُ أَنْوَاطٍ » . الحديث .

القاعدة الرابعة أن مشركي زماننا أغلظُ شرّاً من الأولين ،
لأن الأولين يُشركونَ في الرخاءِ ويُخْلِصُونَ في الشدةِ ، ومُشركو
زماننا شركهم دائماً في الرخاءِ والشدةِ . والدليل قوله تعالى : (فَإِذَا
رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)

تَمَّتْ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

(١) الحديث أخرجه الترمذى وصححه ، وقوله « حدثنا عهد بكفر » أى
قريب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في دين الإسلام ، فلم يتمكن
الإسلام من قلوبهم . وقوله « ينوطون » أى يعلقون بها أسلحتهم تبركاً بها وتعظيماً
لها . وقوله « ذات أنواط » هو جمع نوط ، مصدر ممي به المنوط ، أى المعلق ،
ظنوا أن هذا الأمر محبوب عند الله ، فقصدوا التقرب به إليه سبحانه . وإلا فهم
أجل قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الآية ٦٥ من سورة العنكبوت .